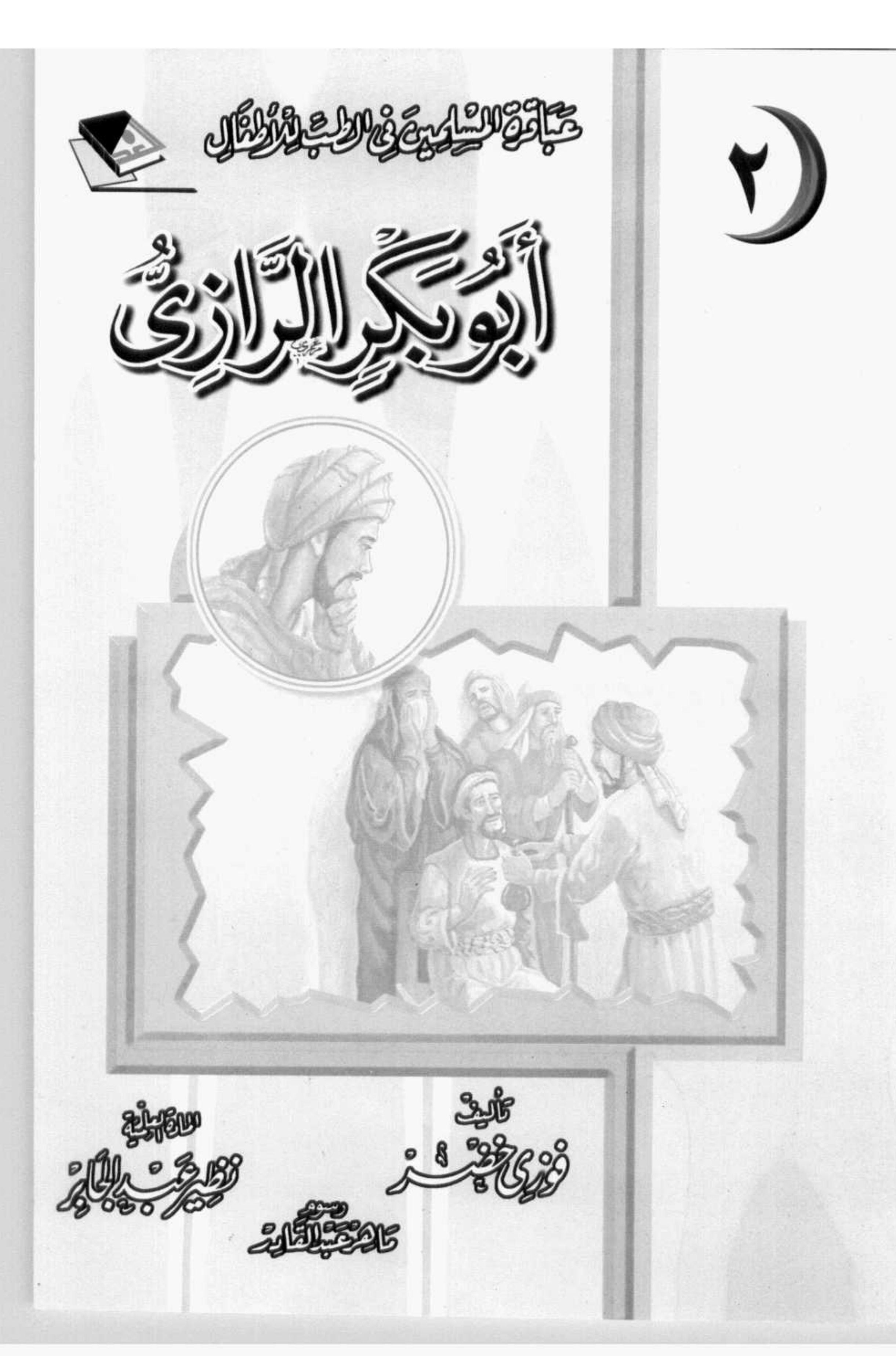


عباقرة المسلمين في الطب للأطفال

٢

أبو بكر الرازي

تأليف
فوزي خضر

المادة العلمية
نظير عبد الجابر

رسوم
ماهر عبد القادر

الناشر : مكتبة ومطبعة الغد
العنوان : ٢٣ ش سكة المدينة - تاهيا - إمبابة - جيزة
تليفون : ٣٢٥٠٢٠٢
رقم الإيداع : ٨٣٠٩ / ٩٩
الترقيم الدولي : X - 27 - 5819 - 977
رسوم وإخراج فني: ماهر عبد القادر
خطوط : مصطفى عمرى
مراجعة لغوية : حمزة عبد المنعم الزمر

الطبعة الأولى : صفر ١٤٢٠ هـ - يونيو ١٩٩٩ م





بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فى يوم مَشرِقٍ من أيام سنة (٤٢٠) أرْبعَمائَة وعشرين للهجرة / (٨٥٤) للميلاد وُلِدَ أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ زكريَّا الرَّازِىُّ فى مدينة الرّىِّ ، التى تَبْعُدُ عن (طَهْرَانَ) بِعدَّةِ (كيلو مترات) جِهَةَ الجنوب الْغَربىِّ ، إنه أبو الطبِّ العربىِّ . . . كما أَطْلَقَ النَّاسُ عليه .

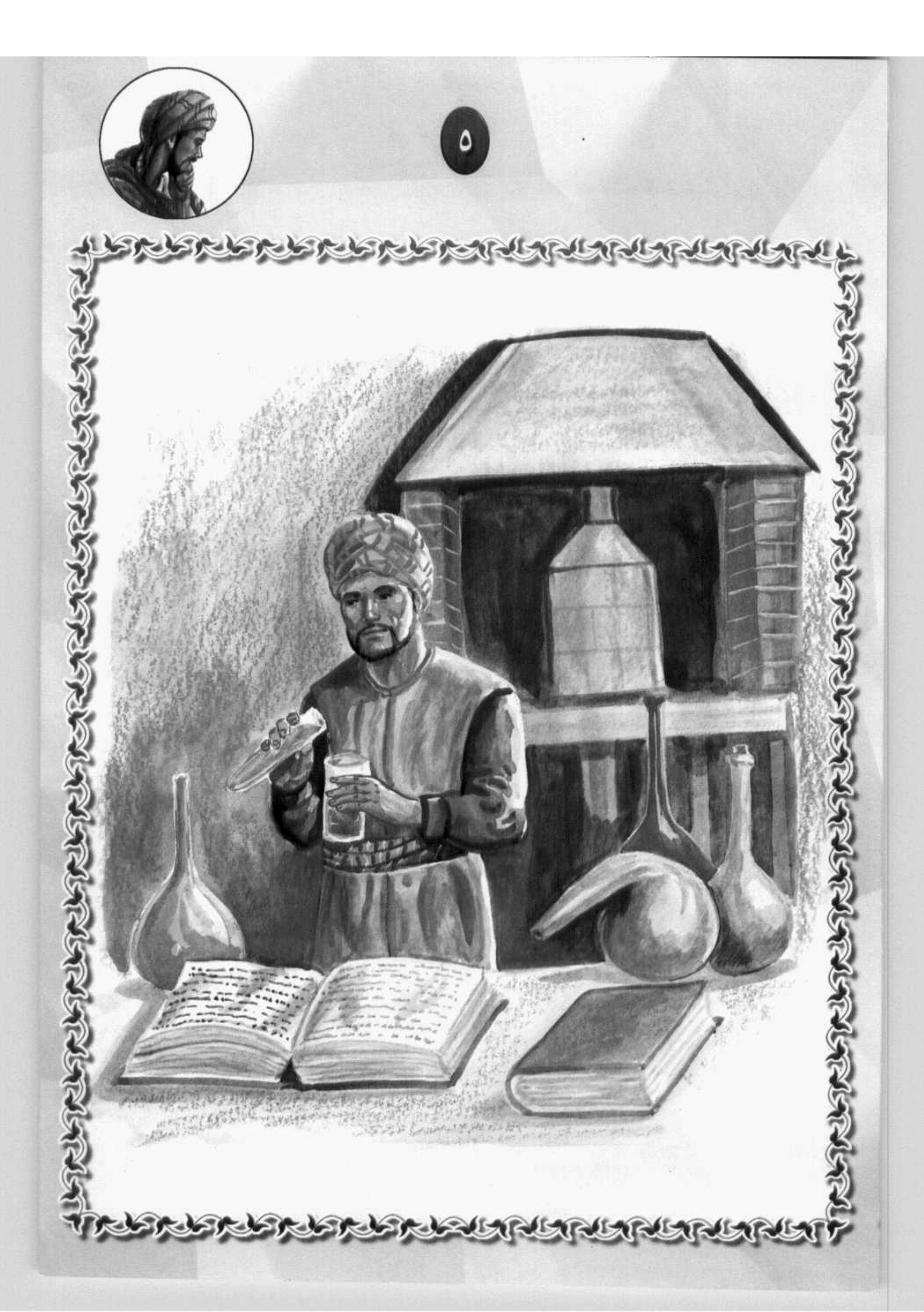
تَعَلَّمَ الرَّازِىُّ فى طُفُولَتِهِ وَصِبَاهُ كما كان يَتعَلَّمُ الأَوْلادُ فى عصره ، فَحَفِظَ عِدَّةَ أَجْزَاءٍ من الْقرآنِ الكريم ، وَتَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ والكتابةَ وَالْحِسَابَ .





فَلَمَّا كَبُرَ قَليلاً أَحبَّ (الموسيقا) وتَدرَّبَ عَلَى الْعَزْف عَلَى آلَة الْعُود ، حتَّى أَجَادَ الْعَزْفَ عليها، وتَعلَّمَ الْفَلْسفَةَ ، ثُمَّ تَعمَّقَ فى دراَسة الرِّياضيَّات وَعَملَ صرَّافاً ، وكان مُحاسباً بارعاً ، وَمَرَّت السَّنَوَاتُ ، فَأَحَبَّ (الْكيمْيَاءَ) وَتَعلَّمها ، فَصار من المتمكِّنينَ من هذا الْعلْمِ الدَّقيق ، وَأَجْرَى كثيراً من التجارب (الكيمْيَائيَّة) وكانَ عاشقاً لِلْقراءَة ، مُدَاوماً عليها .







وَوَقَعَتْ حَادِثَةٌ غيّرتْ مَجْرَى حَيَاةِ أَبِى بكْرٍ الرَّازِىِّ ، لَقَدْ رَأَى شَاباً جالِساً يَبْكِى فى الطَّرِيقِ ، فَأَقْتَرَبَ منه وَسَأَلَهُ عَمَّا به ، فَأَجَابَهُ الشّابُّ قائلاً :

أَبِى مَرِيضٌ مَرضاً شديداً ، ولا أَدْرِى مَاذَا أَفْعَلُ .



تَعجَّبَ الرَّازِىُّ مِنْ ذَلِكَ الشَّابِّ ، وَنَصَحهُ بِأَنْ يَذْهَبَ بِوَالِدِهِ إِلَى طَبِيبٍ ، فَالأَمْرُ لا يَحْتَاجُ إِلَى الْبُكَاءِ فِى الطَّرِيقِ ، وَإِنَّما يَحْتَاجُ إِلَى الإِسْرَاعِ حَيْثُ يُوجَدُ الدَّوَاءُ ، لِيَكُونَ وَسِيلَةً ، لَعَلَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَكْتُبُ لِلْمَرِيضِ الشِّفَاءَ الْعَاجِلَ .

قال الشابُّ : لقد ذهَبْتُ بِأَبِى إلى ثَلاثَةِ أطِبَّاءَ ، وَجَمِيعُهُمْ رَفَضُوا أَنْ يُعَالِجُوهُ .

زادَ عَجَبُ الرَّازِىِّ وَسَأَلَهُ : لِمَاذَا ؟ .

فَأَجَابَ الشابُّ : لأَنِّى لا أَمْلِكُ مَالاً ، وَالطَّبِيبُ يُرِيدُ أَجْراً، وأنا فَقِيرٌ ، وَجَمِيعُ أَقَارِبِى فُقَرَاءُ ... فَماذَا أَفْعَلُ ؟ ... لَمْ أَجِدْ غَيْرَ الْبُكَاءِ .

تَأَثَّرَ أبو بكرٍ الرّازِىُّ تَأَثُّراً شديداً لِمَا سَمِعَهُ من ذلك الشَّابِّ، فَذَهَبَ مَعَهُ إلى بَيْتِهِ ، وَاصْطَحَبَ الْمَرِيضَ إِلَى طَبِيبٍ ، وَدَفَعَ الرازِىُّ أَجْرَ الطَّبِيبِ وَثَمنَ الدَّوَاءِ ، وعادَ إِلَى دَارِهِ حَزِيناً لأَنَّ



هَؤُلاءِ الأَطِبَّاءَ لَمْ يَرْحَمُوا الْمَرِيضَ ، ولَمْ يَنْظُرُوا إلا لِلْمَالِ الَّذى سَوْفَ يَكْسِبُونَهُ .

جَلَسَ الرَّازىُّ يُفكِّرُ ، فقَدِ اعْتَادَ عَلَى أَنْ يُفكِّرَ فِى كُلِّ شَىْءٍ يُقَابِلُهُ ، لأَنَّهُ كان يَعْلَمُ أَنَّ عَقْلَ الإنْسانِ يَسْتَطِيعُ التَوَصُّلَ إلى حُلُولٍ لِمَا يُوَاجِهُهُ من مُشْكِلاتٍ إنْ هُوَ أَحْسَنَ التَّفْكِيرَ ، بَحْثاً عن حُلُولٍ مُنَاسِبَةٍ .

تَوَصَّلَ الرَّازىُّ إلى الْحَلِّ ، وكان حلاً غَرِيباً ، لقد قَرَّرَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الطِّبَّ ، ويَتَعَمَّقَ فيه ، ويُجِيدُهُ ، حتى يَصِيرَ طبيباً مُتمكِّناً من مِهْنَتِه ، وَهَذا لَنْ يَتَحَقَّقَ إلا بِالإخْلاصِ فى الدِّراسة ، وَالدِّقَّةِ فى التَّحْصِيلِ ، وهكَذا بَدَأَ الرَّازِىُّ دِراسةَ الكُتُبِ الطِّبِّيَّةِ وَهُوَ فى الأَرْبَعِينَ من عُمْرِهِ .

لَمْ يَتَكاسَلْ ، ولَمْ يُبَدِّدِ الْوَقْتَ بِلا فَائِدَةٍ ، لذلك تَمَكَّنَ الرَّازىُّ من دِرَاسةِ الطبِّ فى وَقْتٍ قَصِيرٍ ، وبَدَأَ يُمارِسُ عَمَلَهُ بِصِفَتِه طَبِيباً ، فَعَالَجَ عَدَداً كبيراً من المَرْضَى ، وكتبَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - لَهُمُ الشِّفَاءَ ، فَحقَّقَ الرازىُّ شُهْرَةً عَرِيضَةً .



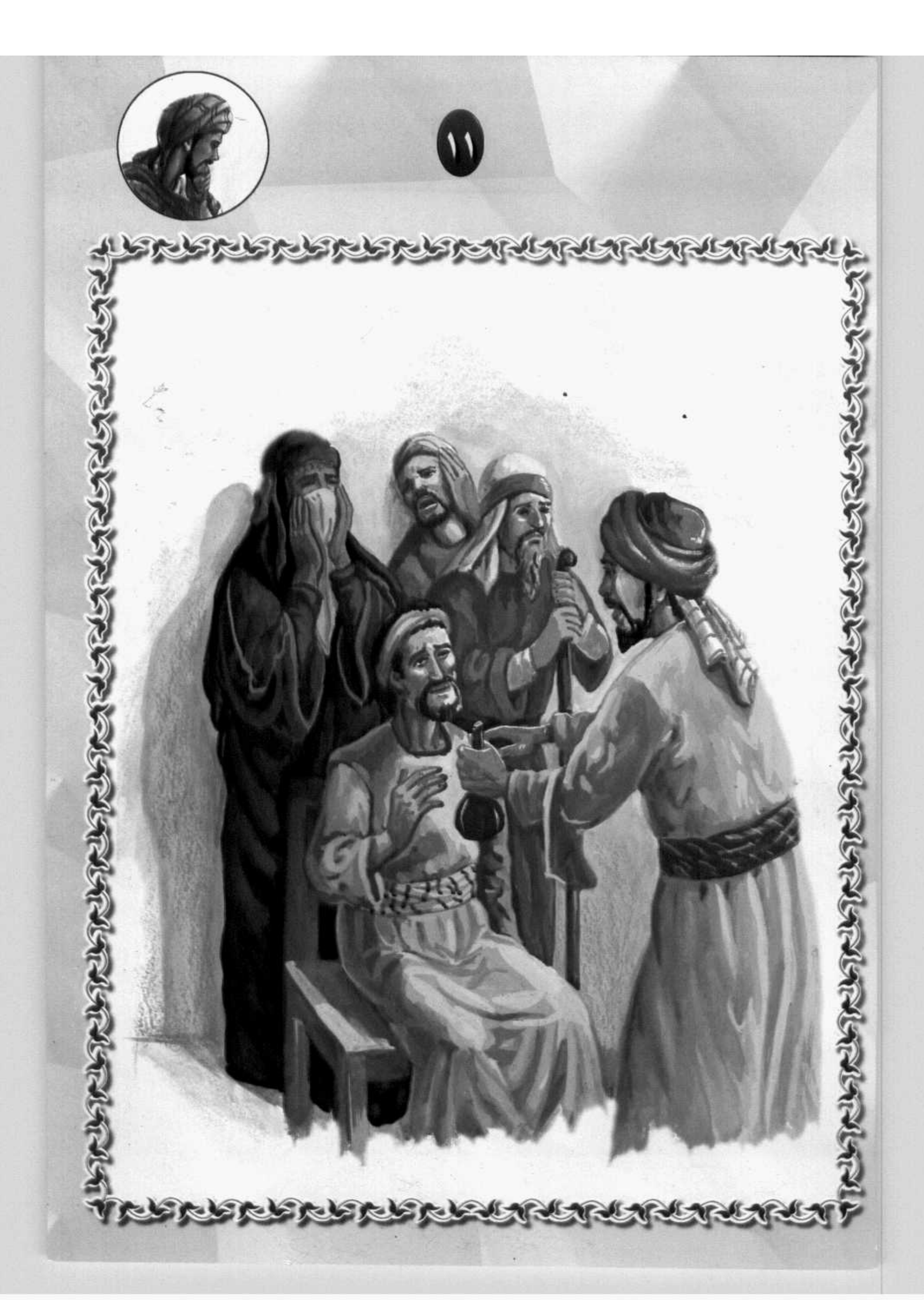


وكان مُعْظَمُ الذين عالَجَهُمْ من الفُقَراءِ ، وأَحبَّهُ النَّاسُ لأنه كان رَؤُفاً بالمرضَى ، مُجْتهداً فى عِلاجِهِم بكلِّ الْوَسَائِلِ التى يَقْدِرُ عليها ، وكان مُواظباً على الْبحثِ فى المسائِلِ الغَامِضةِ التى تُوَاجِهُ الأطباءَ ، فَيَظَلُّ يَجْتَهِدُ فى البحثِ فيها ، حتّى يُوَفِّقَهُ اللهُ - سبحانه وتعالى - فى الكشفِ عَنْ غوَامِضِهَا وأَسْرَارِهَا .

وَأَخْلَصَ الرازىُّ فى عَمَلِه وأَتْقَنَهُ ، فَصارَ من الأطباء الْمَشْهُورِينَ خِلالَ سنوات قَليلةٍ ، وَعَرَفَهُ الناسُ على امْتِدَادِ الْبلاد ، ووَصَلَتْ شُهْرَتُهُ إلىَ السُّلْطَانِ (عَضُدِ الدَّوْلَةِ) فَاسْتَدْعَاهُ إلَى بَغْدَادَ .

كان السُّلْطانُ يَبْغِى أَنْ يَبْنِىَ مُسْتَشْفىً جَدِيداً فى بَغْدَادَ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ تَحْدِيدَ الْمَوْقِعِ المناسبِ لبنَائه ، لِذَلك اسْتَدْعَى أَشْهَرَ الأَطبَّاءِ ، لِتَحْدِيدِ أَفْضَلِ مكانٍ يَصْلُحُ لِبناءِ المستشفى .

جَلَسَ الرازىُّ يُفكِّرُ كَعَادَته كُلَّمَا وَاجَهَتْهُ مُشْكلَةٌ تَحتَاجُ إلى حلٍّ ، أَوْ كُلَّما وَاجَهَهُ أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى التَّصرُّفِ فيه ، وَهَدَاهُ تَفكِيرُهُ إلى تَجْرُبَةٍ ، يَسْتَطِيعُ بِوَاسطَتِها أَنْ يُحَدِّدَ الْمكانَ





المكانَ الصِّحِّىَّ لبناء المستشفى فقد أَحْضَرَ عِدَّةَ قِطَعٍ مِنَ اللَّحْمِ الطَّازِجِ ، ووَضَعَهَا فِى أَمَاكِنَ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ بَغْدَادَ ، كَانَ الرازىُّ يُدْرِكُ أَنَّ اللَّحْمَ يَتَعَفَّنُ إِذَا وُضِعَ فِى الْهَوَاءِ الطَّلْقِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، وكان يُدْرِكُ أَنَّ هذا التَّعَفُّنَ يَنْتُجُ مِنَ التَّلَوُّثِ المَوْجودِ فى الهَوَاءِ ، لَكِنْ بَعْضُ الأَمَاكِنِ يَزِيدُ فيها التَّلَوُّثُ ، وبَعْضُهَا يَقِلُّ فيها ، وحين نَظَرَ الرازىُّ إلى نَتيجَةِ تَجْرُبَتِهِ وَجَدَ قِطْعَةَ مِنَ اللَّحْمِ هِىَ أَقَلُّ تَعَفُّناً من الْقِطَعِ الأُخْرَى ، فَعَلِمَ أَنَّ المكانَ الذى وُضِعَت فيه هذه الْقِطْعَةُ



هُوَ أَنْسَبُ الأماكنِ لِبناء المستشفى ، لأَنَّهُ أقلُّ الأماكنِ تَلَوُّثاً ، ولذلك حَدَّدَهُ لِيكُونَ هُوَ الْمَوْضِعُ الصحِيُّ الذى يُقِيمُ فيه المرْضَى ، فَلا يَتَعَرَّضُونَ لِمَزِيدٍ مِنَ الأَمْرَاضِ.



شَيَّدَ السلطانُ المستشفى الجديدَ ، واخْتارَ أبا بكر الرازى مديراً لِهَذه المستشفى ، وَصَارَ رئيساً لِلأَطباءِ ، وكان الرازىُّ يُعلّم تلاميذَهُ من الأطباء الصِّغارِ ، ويَقْضى مُعْظَمَ وَقْته بَيْنَ المرضَى والطُّلابِ ، ويُحَاوِلُ أَنْ يُعْطِىَ الْفُرْصَةَ لتَلاميذه - من الأطباء - لعلاجِ المرضَى ، فإذا رأَى الحالةَ مُسْتَعْصيةً عليهم تَوَلَّى علاجَها بِنَفْسه ، وكان يَنْصَحُ طُلابَهُ فَيَقُولُ لهم : على الطبيب أَنْ يَطْمَعَ فى شفاء مريضه أَكْثَرُ من رَغْبَته فى الحصول على أَجْرِه من المال ، وعليه أَنْ يُفَضِّلَ مُعَالجةَ الفُقَراء ، ويَجبُ أَنْ يكُونَ دَقيقاً فى تعليماته ، مُهْتماً بِنَفْعِ النَّاسِ ، وعليه أَنْ يَجْعَلَ الْمرِيضَ يَشْعُرُ أَنَّهُ لا تُوجدُ مُفَاضَلَةٌ بَيْنَ الْمَرْضَى . وكانت نَصَائحُهُ لِلأَطِبَّاءِ وَلِلْمَرضى تَدُلُّ عَلَى أخْلاقِهِ الكريمةِ وَخِبْرَتِهِ الْوَاسِعَة .

كان الرازىُّ أَوَّلَ طَبيبٍ فى العالم يَرْبطُ بَيْنَ الْحالَةِ النَّفْسيَّةِ لِلْمَرِيضِ وَالْحالَةِ الْمرضيَّةِ ، وَأَدْرَكَ أَنَّ تَحَسُّنَ نَفْسِيَّةِ المريضِ تُساعدُ عَلَى شفَاءِ الأَمْراض التى تُصيبُ جِسْمَهُ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَرّق بَيْنَ الْحصْبَةِ والْجُدَرِىِّ ، وكان الأطباءُ قَبْلَهُ يَظُنُّونَ أَنَّهُما



مَرَضٌ واحدٌ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَفَادَ مِنَ الْمُسْتَحْضَرَاتِ (الْكِيمْيَائِيَّة) فى الطِّبِّ ، وَكَتَبَ عَنْ أَمْرَاضٍ كَثِيرَة وَسُبُلِ علاجِهَا ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ اسْتَخْدَمَ حَيَوَانات التَّجَارُبِ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ فَعَالِيَّةِ الدَّوَاءِ الْجَدِيد ، إِذْ كَانَ يُجَرِّبُ أَدْوِيَتَهُ عَلَى الْقُرُودِ قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَهَا لِلْمَرْضَى، وَقَدِ اكْتَشَفَ كثيراً من العقَاقِيرِ والْمَرَاهِمِ.



أَلَّفَ الرازىُّ أَكْثَرَ مِنْ مَائَتَىْ كِتَابٍ فى فُرُوعٍ مُخْتَلِفَةٍ من العلم، إلا أَنَّ كتابَ « الْحَاوى فى عِلْمِ التَّدَاوى » هو أَشْهَرُ كُتُبِه ، وهو موسوعةٌ طبيَّةٌ كبيرةٌ ، يَقَعُ فى ثلاثينَ جُزْءاً ، وَكَذَلكَ كتابُ « الْمَنْصُورِى فِى التَّشْرِيحِ » ، وكتاب « الْحَصْبَةِ وَالْجُدَرِىِّ » وهذه - جميعها - تُرجمَتْ إلى اللغة اللاتينيَّة ، وَاعْتَمَدَ عَلَيها أَطبَّاءُ أوروبَّا حتَّى الْقَرْنِ الرَّابعِ عَشَرَ الميلادىِّ ، كما تُرجمَتْ بَعْدَ ذلك إلى عَدَدٍ مِنَ اللُّغَات ، منها الإِنْجليزيَّةُ والْفرِنْسيَّةُ ، لأَهَمِّيتها وَأَثَرِهَا الْوَاضِحِ فى تَطَوُّرِ عِلْمِ الطبِّ فى العالم .

وتُوجَدُ قَاعَةٌ فَخْمَةٌ فى جَامعَةِ (برنستون) الأمريكية ، اسْمُها قَاعَةُ الرَّازىِّ ، تَحتَوِى عَلَى كُتُبِه وإِنْجازَاتِه الطبيَّةِ ، وهو اعْتِرَافٌ بِفَضْلِ ذلك الْعَالِمِ الْعَرَبِىِّ العَبْقَرِىِّ ، الّذى أَخْلَصَ فِى عَمَلِه ، واسْتَخْدَمَ عقلَهُ فَأَمْعَنَ التَّفْكِيرَ فى كلِّ شَىْءٍ، وَتَحَلَّى بِالأَخْلاقِ الحَميدَةِ ، فكان نُموذَجاً مُضيئاً للإِنْسَانِ فى كلِّ زمانٍ وفى كلِّ مكانٍ .